البلاغة العربية والقراءة النسقية المعاصرة
محمد العمري في فعل المجاوزة والاسئلة المستمرة

Arabic Eloquence and Contemporary
Contextual eading:
Mohammed Al-Amry ,Transition Verb and
Continuous Questions

م.د. مسالتي محمد عبد البشير
م.د. مرغم احمد

Lect. Dr. Masalti Mohammed Abdul Bashir ,
Lect. Dr. Mergham Ahmed, Department of

البلاغـــة العربيـــة والقـــراءة النسقية المعاصرة

محمد العمري، فعل المجاوزة والأسئلة المستمرة

Arabic Eloquence and Contemporary Contextual eading: Mohammed Al-Amry ,Transition Verb and Continuous Questions

م.د. مسالتي محمد عبد البشير
الجزائر/ جامعة سطيف٢ / كلية الآداب واللغات / قسم اللغة العربية

Lect. Dr. Masalti Mohammed Abdul Bashir , Department of Arabic Language, Cllege of Arts and Languages, University of Setif 2 , Algeria
messalti_mouhamed@yahoo.com

م.د. مرغم احمد
الجزائر / جامعة سطيف٢ / كلية الآداب واللغات / قسم اللغة العربية

Lect. Dr. Mergham Ahmed, Department of Arabic Language, Cllege of Arts and Languages, University of Setif 2 , Algeria
bouzid1925@yahoo.fr

تاريخ التسليم:١١/٠٨/٢٠١٦
تاريخ القبول :٠٥/١٠/٢٠١٧
خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث :

يصدرُ هذا البحثُ من مبدأ نظري يرى أنّ تغيّرَ المعطياتِ، يُلزمُ على الباحثين بداهةً أن يعيدوا قراءةَ وتأويلَ التراثِ ما كانَ منهُ بعيدا وما التحقَ به، ليس لإسقاطِه على الحاضرِ والاستغناءِ عنه، ولكن للتواصلِ معه وإعادةِ تأويلِه حتى لا يبقى عائقا أو بديلا للحاضر، هذا ولا يخفى على أهلِ النَظرِ أنّ غيابَ الإمكاناتِ العلميةِ والابستمولوجيةِ الآنيةِ، تجعلُ المؤرخَ القارئَ عاجزا عن التخلصِ من إسارِ ذلك الماضي ومن إعادةِ تأويلِه فيكتفي باستجلابه أو نفيه على الإطلاقِ، هذا ما يحيلُنا دون ترددٍ إلى المشروعِ البلاغي لمحمد العمري ، حيثُ لا يتصفحُ مُتصفحٌ مشروعَه إلا ويدركُ التّجربةَ النّقديّةَ التي تثوي وراء التّصنيفِ، و بشيءٍ من التّأملِ والتّروّي يدركُ كلُ مهمومٍ بإعادة قراءةِ التّراثِ البلاغي أنّ طرائقَ المعالجة التي توسل بها محمد العمري تقعُ في صميم الهاجسِ التّجديديّ، سواءً أجنحَ الخطابُ إلى الإعلانِ عن الجدّةِ أم تلطفَ بها واقتصدَ فيها؛ فقراءة الباحثِ للنّصوصِ البلاغيةِ كما ستوضحُه هذه الدراسةُ جاءت في ظاهرِها خالصةً لمقولاتِ البلاغةِ الجديدة، وفي حقيقتِها مشروعَ قراءةٍ تفتحُ على إمكاناتٍ متعددّةٍ في البحثِ، وتوحي بمسالكَ في التّناولِ تختلفُ عمّا سُلك، وتطرحُ من الأسئلةِ أكثرَ مما تقدمُ من الإجاباتِ.

الكلمات المفتاحية: البلاغة ، تأويل، تعدد المعاني، تغيـّر الأفق، ، القراءة

Abstract:

The scholar mohamed Elomari as a project is deemed one of the most accurate in depth and methodologically sound figure in the field, particularly in setting of the the theoretical and methodological finding of the ancient Arab critics . Reading El omari's The Criticism of Poetry according to the Arabs , one could trace its distinction from the many published critical artworks of its time. A distinction attributed to At- El omari recruitment of an excavation method of critical inquiry. Scu a methodology enables him to uncover the tracks of the development of Arabic literary criticism and objectively underline the visions adopted and the domains trageted by such criticism without any bias for or against tradition.

Keywords: -la Rhetoric- Interpreting- Polysemy-Changing `horizon– Reading

مهاد نظري: البلاغـــة العربيـــة والقــراءة النسقية :

يتأكد التذكير هاهنا أنّ فحص التراث البلاغي من منظور الإحراجات المنهاجية التي عرفتها مختلف النظريات الأدبية و الحجاجية الحديثة ، قد شكل ملمحا بارزا في مشهدنا النقدي المعاصر، وكان من نتائج ذلك ظهور محاولات رائدة لا تخفي سعيها إلى بناء بلاغة عامة وجديدة تعنى بدراسة كل أشكال الخطاب الاحتمالي المؤثر في بعديها التخييلي الأدبي والحجاجي المنطقي(*)؛ وتبعا لما تقدم، نقر ها هنا بوجود طروحات تداولية وحجاجية في النقد العربي المعاصر وبخاصة في المغرب، يتجلى في ما يروج من مطارحات وما يتداول من كتب في الموضوع ، هذا ولا يخفى على أهل النظر أن«التأليف البلاغي في المغرب عرف خلال الربع الأخير من القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة انتعاشا ملحوظا بسبب تعدد الجامعات وما واكبه من إصلاح انبثقت عنه تكوينات جديدة ومجموعات بحث في البلاغة وتحليل الخطاب،هذا إلى جانب انفتاح عدد من الباحثين على الدرس البلاغي في الغرب»[١].

إنه لمن قبيل المجازفة، والمهمة الشاقة الحفر في التّراكم القرائيّ الضّخم الذي قدّمه الباحث محمد العمري(*). ولهذا سيحاول هذا البحث الوقوف على موقع الجاحظ ضمن دراسات الباحث(*)، وهكذا سنحاول تتبع المتصورات الجوهريّة لقراءة القراءة، بوصف هذه الدراسة ستشتغل على المتن النّقديّ، مركزة على قراءات محمد العمري التأويلية التي قدمت إضافات حقيقية في المنظومة النقدية العربية بامتياز، ومن يتمعن خبايا قراءات العمري من حيث مكوناتها وأصولها يجدها – كما سنقف عليه – مؤسسة على مبدإ النقض، بمعنى أنها ظلت تحدد نفسها ليست منطلقة من

ذاتها دوما، ولكن انطلاقا مما تقدر أنها عليه بالنسبة لقراءات أخرى، وكأن عناصر مقاربات العمري -من حيث تعريفها الذاتي- استمدت كينونتها مما يميزها من الآخر ويفصلها عنه؛ وهذه الكينونة-كما بدا لنا- مؤسسة على مبدأ فهم النسق النظري الذي كانت تتولد منه كتابات أعلام التراث من قبيل ابن جني، والجرجاني و الجاحظ .

يقتضي النّظر في البلاغة العربية - بوصفها خطابات كُتبت في مرحلة متقدمة- تحقّق نمط من الوعي القرائيّ النّقدي (La conscience Lisante critique) ؛ متسم بتعدد واجهاته، وتنوع استراتيجيّاته حتى يتمكن من الانتشار في أكثر من اتجاه معرفيّ ويقدر على مواجهة الأسئلة المخصوصة التي تفرزها مقولات تراثنا القديم: ما طبيعة المعالجة التي يمكن أن نرومها؟ هل نحلّل المقولات البلاغية، أو نشرحها، أو نفسرها، أو نؤوّلها أو نقاربها؟ أم ينبغي- ونحن نقارب المقولات البلاغية- أن تكون أعيننا على الحاضر؛ أي البحث عن انعاكاسات قراءتنا في واقعنا الثقافي المعاصر.

يلاحظ الباحث محمد اليملاحي أن الإنتاج البلاغي بالمغرب أخذ بصفة عامة منحيين واضحين:الأول تراثي(البلاغة القديمة) ويرتبط بتحقيق المتون، وتخريج مصطلحات بلاغية(*) والمنحى الثاني حداثي تمظهر في ثلاثة تيارات: تيار البلاغة الجديدة(*) ، والتيار الفلسفي(*) والتيار اللساني(*). وكل تيار يمثله ثلة من الدارسين.

ارتبطت نشأة البلاغة الجديدة بالجامعات المغربية ارتباطا وثيقا ومتينا، إذ إن جل ممثليه تخرجوا من الجامعة ثم عادوا للتدريس بها ، ومن ثم فإن ما أنجزوه من

دراسات وأبحاث يعود في الأصل إلى السياق الجامعي، سواء في إطار الرسائل أو الأطاريح الجامعية، بل إن بعضهم أنشأ وحدات للبلاغة بهدف تكوين فرق للبحث في هذا المجال »[٢].

يعد الباحث محمد العمري من الباحثين الذين حرصوا في بداية مسارهم العلمي على إدماج البلاغة العربية القديمة في سياق النظريات الأدبية المعاصرة. ولما ظهرت الدعوات الحديثة إلى إعادة الاعتبار للبلاغة، سعى الباحث إلى بناء بلاغة أدبية تتسم بتعبيره بالرحابة في الموضوع والمنهج، بلاغة تقوم على الدعوة إلى دراسة وتحليل جميع الأنواع الأدبية شعرية ونثرية، قديمة وحديثة بشكل يُمكن من بيان ما يتقوم به كل نوع من مكونات وسمات أسلوبية.

توحي مقاربات العمري –من حيث المنهج- بنسق وسطي قائم على وعي توفيقيّ، مفضٍ إلى تأصيل المعرفة والمنهج، وليس إلى التّلفيق[*]«الذي كثيرا ما يخلط بينه وبين التّوفيقيّة»[٣]، وهكذا يظهر أن العمري قام بعمليتين متكاملتين تمد في كل واحدة منهما اليّد لحضارة من الحضارتين العربيّة والغربيّة، بنوع من الوعي التّاريخيّ الفاحص، حتى يتحقق التّلاقح المرغوب، بالانسجام والتّوافق المطلوبين، دون نشاز ولا تنافر:

العملية الأولى :الرّجوع إلى تراثنا العلميّ وسبر أغواره، واكتشافه من جديد لحصر العناصر المعرفيّة والمنهجيّة، واستحضار ما هو حيّ منها وملائم لتوظيفه كما هو، أو ما هو قابل للتّطوير قبل التّوظيف، وكذا لاستخلاص ما هو صالح لننطلق منه أو نستوحي أو نستمد بعض ما يقوي فينا قدرة الإبداع أو يفتح أبوابه.

العملية الثانية: التّفتح بوعي وعمق وحرية على تراث الغرب، وبجد، في شتىّ نواحيه ومختلف ميادينه، ليس لمجرد اتباعه والبقاء في مؤخرة الرّكب لاهثين خلفه، ولكن لاكتساب المقومات التي أهلته للتّقدم

يتأكد التذكير ها هنا أنّ أصحاب المقاربات النسقية للبلاغة العربية – فيما يقول الباحث ناصر العجيميّ[٤] – كانوا أكثر حرصا على تجنب ما يمكن أن يوجه إليهم من تهمة قراءة التّراث من منظور حديث وإسقاط مفاهيم النّقد الجديد على تصورات نقديّة نشأت في ظلّ ظروف مباينة تمام المباينة للظروف التي ظهرت فيها هذه المفاهيم؛ فكان جلّهم إلى المجادلة أنزع وإلى إبراز الأسس السليمة التي ينبني عليها اختيارهم أميل، وإذا صحّ ما يراه بعض المنظّرين من أنّ كلّ دراسة تنهض على إجابة عن سؤال وإثارة لآخر، فإنّ للسؤال الذي يحاول هؤلاء أن يجيبوا عنه بعدا مزدوجا قائما على ما يلي: هل بوسعنا أن نقرأ البلاغة العربية / التّراث دون أن نغترب عن عصرنا، وأن ننخرط في العصر دون أن نغترب عن أنفسنا وما به نكون؟ أو وَفق تعبير محمد العمري الذي يرى: «أنّ تغيّرَ المعطيّات التي نمتلكها، والإمكانيّات التي نسخِّرها، وتغيّرَ الأسئلةِ المطروحة على الأدب، يجعلُ من اللازم إعادةَ الكتابة كلّما تغيّرت شروط القراءة و ظروفها. فالحاضر يغني الماضي بقدر ما يغتني بمحاورته. الماضي نص مفتوح للقراءة على الدّوام»[٥].

إنّ قرّاء البلاغة العربية وفق هذا الأفق طمحوا إلى إعادة التّأسيس والكتابة، ولم يكن هذا الطّموح يتوجه إلى الاستعادة أو الإسقاط أو كتابة نوع من التّاريخ الصّامت بقدر ما كان يتوجه إلى الانتقاد والتّثوير والمجاوزة.

- محمد العمري، والأفق البيداغوجيّ والتّأويليّ(الخطاب الجاحظي و القراءة المعاصرة):

«الماضي نص مفتوح للقراءة على الدّوام» محمد العمري.

لعل تركيز الباحث محمد العمري على الجاحظ واعتباره نقطة البداية في كثير مما كتبه ينطلق من وعيه بقيمته التاريخية والمعرفية والمنهجية ، فزمن الجاحظ كما يقول عباس ألرحيلة « صادف، ما أطلق عليه، حركة التدوين، (١٥-٢٥٠هـ)، إذ انتقلت فيه الثقافة الإسلامية العربية من عنفوانها الشفهي، على ألسنة البلغاء وأهل العلم في المحافل والمنتديات والمساجد، إلى تسجيلها في الأوراق، وانطلقت فيها صناعة التأليف، فكان أبو عثمان الجاحظ أحد أعلام التأليف الذين واجهوا تجربة تصنيف الكتب أثناء انطلاقة حضارة الإسلام، وممن وطدوا هذه التجربة ورسخوها في حقل الأدب بشكل خاص. وهي مرحلة تاريخية دخلت فيها اللغة العربية في بلورة هوية إسلامية، وبناء ثقافة إنسانية، فوقعت في لحظتي اختبار وتحدد، بدأت خلالهما تستجمع تاريخها الثقافي، وتتطور لتعبر عن معترك العصر وما يحفل به من تحولات حضارية ضخمة في جوانبها المادية والفكرية»(٦).

تكتسي دراسات محمد العمري حول الجاحظ أهمية بالغة بالنظر إلى موضوعها وما تثيره من قضايا نقدية وتاريخيَّة وفكريَّة وحضاريَّة، ومن هنا فقد تتعدد أوجه النظر فيها، وقد تتنوع زوايا قراءتها، لأنها دراسات فيها من عمق النظر، وفيها من الاجتهادات والنظرات العميقة ما يجعلها جديرة بالتأمل والقراءة الفاحصة، بالإضافة إلى ما فيها من مواقف ومناقشات تثير أنواعا من الخلاف الفكري، ومن هذا المنطلق يمكن القول إن لهذه الدراسات طبيعة خاصة، أو لنقل إن لها وجها

ظاهرا وآخر باطنا لعله هو الهدف الَّذي دفع بمحمد العمري إلى الكتابة والتأليف، وأقصد هنا بالوجه الباطن تلك الأبعاد الجدلية والمناقشات العقلية الهادئة الَّتي أدارها في ثنايا دراساته سواء تلك الَّتي تتعلق بمسألة إمكانية قراءة النص الجاحظي من منظورين تداولي وجمالي ، أو تلك الَّتي ترتبط بمنهجية الجاحظ وأسلوبه في الكتابة، أو غيرها من القضايا الَّتي عالجها في مختلف أبحاثه كقضية المعلن والمضمر ، وتحول المشروع ، والبيان والحجاج .

حاول الباحث محمد العمري في أثناء مقاربته للنّص الجاحظيّ – وللبلاغة العربية عامة – من خلال كتابه الموسوم«البلاغة العربيّة؛ أصولها وامتداداتها» الجمع بين البعدين البيداغوجيّ، والتّأويليّ[٧]؛ فالبعد البيداغوجيّ يتجلى في فحصه مشروع الجاحظ انطلاقا من خطاطات تقوم على الاختزال الدّال؛ كما هي الحال في توضيحه لمفهوم البيان عند الجاحظ، وهذا البعد يبدو من حيث الإجراء عملا وصفيّا، ولكنّه يحمل هَمًّا إقناعيّا؛ ذلك أنّ العمري يريد أن يضبط ويتفق – بادئ ذي بدءٍ – على محتويات مشروع الجاحظ البلاغيّ ومنجزاته، وشتان ما بينهما في أغلب الأحوال، شتان ما بين المنطلقات والرّغبات المعبّر عنها وبين المنجز مما تتيحه الظروف المحيطة، وهو ما بيّنه الباحث لاحقا حينما صدح بأنّ مشروع الجاحظ أخفق كمنجز؛ ثمّ إنّ الباحث كما بدا لنا اتكأ على هذا الإجراء قصد الخروج من حلقة النّصوص الجاحظيّة المقطوعة عن السّياق التي لم تزدنا إلا تشويشا واختلافا في فهم الفكر البلاغي الجاحظي وتقويمه. أما البعد التأويلي الذي اعتمده الباحث فقد ساهم – في تقديرنا – في ربط مشروع الجاحظ بابن وهب وأبي هلال العسكري، وابن سنان، وساهم هذا البعد أيضا في الكشف عن خلفيّات المشاريع المرتبطة بالخطاب الجاحظيّ.[٨]

إنّ قراءة العمري استثنائيّة بجهد استثنائيّ؛ إذا قرأت مشروعه وتفحصته مليّا ثم تدبرت وهممت باستثماره وتشخيص منحاه وجدت فيه ما يغريك بأن تعالجه بالتّمحيص وأنت جاعل منتهى غايتك أن تحسم الأمر فيه إن كان من صنف الدّراسات الحجاجيّة، أم هو من صنف الدّراسات البنيويّة الأسلوبيّة...

وبناء على كل ذلك، سنطوف بأطراف الكتاب طوافا لنفحصه في ضوء ما قاله هو عن نفسه ولنفحصه أيضا في ضوء ما لم يقله هو عن نفسه؛ ذلك أنّ المنهج المختار يحمل – بل يقتضي – أن نتساءل عن الغائب في ضوء الموجود، مستدلين عنه في الذّهن المغمور ثمّ نتوسل بهذا الغائب لكشف مقاصد الحاضر المذكور.

إنّ مقاربة الباحث العمري – انطلاقا من المنهج الذي اعتمده وصولا إلى النتائج التي توصل إليها – تُعد امتدادا لجهود الباحث حمادي صمود في هذا الطريق، وبناءً يستند إلى بناءاته و لاشكّ أنّ للمعالجة البنيوية اللسانية، جدوى كبيرة في استخراج الأنساق وتفسير الفعالية، ولذلك حاول الباحث العمري استثمارها إلى أقصى حد ممكن، كما أننا لاحظنا استغلاله لبعض مقترحات جماليّة التّلقي في بعدها التاريخي؛ بمعنى أنّ عدة الباحث في قراءته للجاحظ (والبلاغة العربيّة عموما) هي الجمع بين البنيوية والتّلقي؛ فالبنيوية تقدم أدوات فعالة في مستوى الوصف والتفكيك والتركيب، وهذا مستوى أول ضروري في معالجة أي موضوع، عليه ينبني التأويل والتفسير، وهو الذي يعطي معنى للإحصاء، فقبل أن نؤوّل يجب أن نعرف ما سنؤوله وقبل أن نحصي ينبغي أن نعرف ما نحصي، والكثير من نتائج التأويل والإحصاء تبدو عبثية نتيجة عدم قيامها على عملية بنيوية وصفية دقيقة، أما التلقي فهو عملية تالية – في قراءة العمري – للوصف البنيويّ، ومفتقر إليه.[٩]

لعلّ أوّل ما يطالع المتأمّل في قراءة العمري بادئ ذي بدء هو تقليله من قيمة الجدل حول البلاغة الجاحظيّة والأثر اليونانيّ(*)، إن لم يجعله عقيما، معتمدا في ذلك المفاهيم القرائيّة خاصّة مفهوم التّحويل، وقلّل من فكرة تحكم الإعجاز في البلاغة العربيّة – بخلاف قراءة حمادي صمود الموسومة بـ التفكير البلاغي عند العرب (١٠):– بل جعله أي الإعجاز عنصرَ إغناء من حيث توجيهُ السّؤال البلاغيّ وعمق التّحليل في المعتد: اللفظ أو المعنى، حسب المرجعيّات.

وبحثاً عن استخراج الأنساق وتفسير الفعاليّة على أساس مفاهيمي/ بنيويّ لسانيّ ينطلق العمري من طرح مفاده أنّنا لا نستطيع أن نعد ابن وهب قارئاً للجاحظ قبل أن نفكّك، ونركب عمل كلّ منهما، يقول العمري: «وإذا نظرنا من زاوية الخطابة والبيان الخطابيّ فإنّ مشروع الجاحظ في البيان والتبيين لا يمكن أن يفهم إلا من خلال قراءة ابن وهب له، واستئنافه لمشروعه؛ فابن وهب يرى أنّ الجاحظ لم يقدم شيئا يستحق الاعتبار في باب البيان»(١١).

ولعلّ الباحث بما هو راسم خريطة عامة لأرضِ البلاغة، أراد أن يبين أنّ كتاب البيان والتبيين للجاحظ يمثل انتقالا من السّؤال المعرفيّ إلى السّؤال البلاغيّ، فبالنّظر في خطة البيان والتبيين للجاحظ؛ في حديثه عن أنواع الدّلالة على المعاني، وبالنّظر إلى ما فهمه قراؤه مثل ابن وهب، نجد أن محمد العمري يسوغ لنفسه القول بأنّ الجاحظ وصَل إلى بلاغة الخطاب الإقناعي(*)من خلال البحث في المعرفة بصفة عامة؛ كيف نَفهم وكيف نُفهم؟ بلاغة قوامها الاعتدال في استعمال الصور البلاغيّة حسب الأحوال والمقامات، مع توظيف كل الإمكانات المسعفة، واعتماد ذخيرة معرفيّة شديدة التّنوع من النّصوص الأدبيّة، والدّينيّة، والأخبار، والأمثال،

والحكم (ثقافة الخطيب). وقد وقف الباحث العمري أمام مفهومين للبيان: المفهوم الأول هو الذي ظهر عند الجاحظ في كتابه: البيان والتبيين، كمشروع طموح ولكنّه أخفق كمنجز، واستأنفه ابن وهب في إطار نظريّة عربيّة لإنتاج المعرفة ومعالجتها وتداولها. والمفهوم الثّانيّ، عند السّكاكيّ، وهو مفهوم جزئيّ يتعلق بمفهوم من مفاهيم المحاكاة عند الفلاسفة العرب؛ أي جانب إنتاج الصّورة اللغويّة ذات البعد الحسيّ كالتّشبيه، والاستعارة والتّمثيل، وهو ما يُعبَّرُ عنه اليوم في كثير من المؤلفات بما يقابل (Image) في الثقافة الغربيّة [١٢].

وفي مقابل فهم العمري للبيان العربي نجد الجابري ينطلق من تصور عام مبنِيٌّ بالمنهج الذي اعتمده في إطار تحليل العقل العربيّ؛ فالبيان بالنّسبة إليه هو أحد أضلاع المثلث: المعرفيّ، البرهانيّ، والنّظام المعرفيّ العرفانيّ، ثم النّظام المعرفيّ البيانيّ أو المعقول؛ فمفهوم البيان إذن عنده، هو مفهوم في مقابل مفاهيم أخرى. ولذلك يطلب لهذا المفهوم أن يستوعب كل ما يُعد سمة للعقل العربيّ وكأنّ الجابري يطلب التّعميم. [١٣]

وعلى هذا نلاحظ أنّ لاختلاف الآليّات والمناهج المعتمدة في مقاربة النّص الجاحظيّ أثرا بالغا في اختلاف النتائج المتوصل إليها، فالمفاهيم القرائيّة المعتمدة في قراءة العمري لنصوص الجاحظ – وبخلاف الجابريّ – لا تخرج عن النّسق والبنية والمشروع والمنجز والقارئ والمقروء له ومفاهيم أخرى تفريعيّة تدخل في إطار نظريّة التّلقي؛ فهذه المفاهيم ومفاهيم أخرى كالاختيار والتّنسيق والمركز، والهامش وتحويل المركز، والتّخليص، في تقدير العمري ضروريّة لفهم واستيعاب بنية البلاغة الجاحظية/ العربية.

- نسق الفهم والإفهام في البيان الجاحظي:

ينزّل الباحث/ العمري الجاحظ ضمن المسار الثّانيّ؛ والذي يمتد في تقديره من الجاحظ إلى حازم القرطاجنيّ؛ مسار تحليل الخطاب، فالسّؤال المطروح من قبل الجاحظ وابن وهب في تقدير العمري ليس هو السّؤال الذي طرحه الجرجاني في الأسرار؛ فالسّؤال عند الجرجاني هو ما الذي يجعل نصا أحسن من نص آخر؟ أما البيان عند الجاحظ فهو الفهم والإفهام بكل بساطة، فالسّؤالان إذن مختلفان؛ أي إنّ الاستشهاد للبيان الجاحظيّ بكلام الجرجاني يهمل هذا الفرق الابستمولوجيّ/ المعرفيّ؛ وإلا فإنّ البحث في أدبيّة النص موجود كذلك في تراث أرسطو (العقلانيّ)، وفي تراث جميع الشعوب.(١٤)

ويلاحظ الباحث في كتابه «البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول» أنّ مصطلح البيان قد تربع على مجال خطابيّ متميز، و أنتج لائحة مصطلحيّة دالة على علم جديد بداية مع الجاحظ في القرن الثّالث الهجريّ، وبخلاف البديع الذي اهتم بالعبارة الشّعريّة، اهتمّ البيان في تقدير العمري بالفهم والإفهام،وقد تدرج الجاحظ حسب العمري من كلمة بيان إلى كلمة بلاغة، ومن كلمة بلاغة إلى كلمة خطابة، وينتقل من الواحدة إلى الأخرى وكأنّما يتحدث عن الشّيء نفسه، وهنا يسجل الباحث أنّ كلمة بلاغة ظهرت عند العرب والإغريق في الحقل نفسه؛ (قاصدا حقل الخطابة)، ولا يتعلق استنتاج العمري هذا في تقديرنا بقضية الأثر والتأثر والتبعية والأسبقية بل يتعلق بطبيعة الخطابة نفسها(**) لقد كان من المعقول تفرع البلاغة عن البيان؛ فتحول البيان إلى بلاغة يعني تقديم الإفهام على الفهم، إن لم يعن التخلي عن الفهم لصالح الإفهام نهائيا، أي الخروج من نظرية المعرفة إلى نظرية الإقناع(***)،

كما خرجت البلاغة من دائرة الخطابة عند اليونان. وهكذا، نصل مع العمري إلى أنّ القراءات البلاغيّة اللاحقة استفادت من الجاحظ، ابتداء من العسكري وانتهاء بابن سنان، فقد أخذا منه أهمّ مكونين للخطاب الإقناعيّ، وهما: المناسبة، والاعتدال، فما وقع في مؤلف ابن سنان حسب العمري شبيه بما وقع في بيان الجاحظ، فالمشروع عند الجاحظ هو البيان بجميع أصناف الدّلالة على المعاني من لفظ وغير لفظ (الإشارة والخط والعقد والنّصبة)، ثمّ سرعان ما قُوِيضَ البيان بالبلاغة ثم قُويضَتِ البلاغة بالخطابة، وتوجه الاهتمام إلى المقام، والأحوال وكان تقديم صحيفة بشر عملاً رمزيّا حاسما: تقديم البديل(١٥).

وبالنّظر إلى هذا المسار وهذه النّهاية فقد لاحظ العمري أنّ الجاحظ كان موضوعَ سوءِ فهم من الدّارسين بعده سواء أتعلق الأمر بأولئك الذين توجهوا توجها منطقيا مثل ابن وهب في كتابه البرهان في وجوه البيان، أم بنقاد الشعر؛ فابن وهب وهو الذي تبنى موضوع البيان بكل حذافيره مستأنفاً القول فيه، يعلن بصريح العبارة أنّ الجاحظ لم يقل شيئاً في موضوع البيان، ثمّ يتولى هو مهمة مَلْءِ الخانات الأربع في مجال الدّلالة وهي: الاعتبار، والاعتقاد، والعبارة، والكتاب أي استنباط المعرفة (الاعتبار)، ومعالجتها (الاعتقاد)، وتداولها (العبارة والكتاب)(١٦).

لذلك – انطلاقا من فهم العمري للبلاغة الجاحظيّة – فمن المثير أن نجد بعضَ الدّارسين المحدثين يبحثون في عمل الجاحظ عن بلاغة شعريّة مثل كتاب «البلاغة الشّعريّة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ» لـ محمد علي زكي صبّاغ، وكذلك بعض الدّراسات الجامعية المخطوطة مثل: «الرؤية الشعرية عند الجاحظ»(*).

ففي مسلسل التّحوّل من الطموح إلى المتاح والعمليّ تدرج الجاحظ بحسب

العمري من كلمة بيان إلى كلمة بلاغة، ومن كلمة بلاغة إلى كلمة خطابة؛ ينتقل من الواحدة إلى الأخرى وكأنّما يتحدث عن الشّيء نفسه، مبينا أنّ هذا التّراجع من المعرفيّ إلى الخَطابيّ عبر «البلاغي» لم تستسغه مقاربة ابن وهب؛ فعدّ عمل الجاحظ غير موف بمفهوم البيان كمشروع، فاستأنف العمليّة في كتابه «البرهان في وجوه البيان» في ظروف أخرى رجّحت كفّة المكتوب، والمعرفيّ على الشّفوي الإقناعيّ[١٧]..

لقد كان استيعاب العمري لمشروع ابن وهب من خلال فحصه لكتاب البرهان في وجوه البيان – سببا متينا في إدراكه لمشروع الجاحظ المعرفي، فابن وهب «يعود مع الجاحظ إلى المحاسبة على المنطلق نفسه: أنواع الدّلالة على المعانيّ من لفظ وغير لفظ، هل وفاها الجاحظ حقها أم لم يفعل؟»[١٨].

إنّ فهم العمري للبيان الجاحظيّ انطلق في تقديرنا من محاولته لرصد غايات الجاحظ الذي كان يسعى لأن يقدم وسيلة للحوار في عصره بين الفرقاء في المجال الفكريّ والسياسيّ، الحوار من خلال الرّصيد الخطابيّ العربيّ من جهة وأحوال المخاطبين من جهة أخرى، المهمّ: كيف يكون الخطاب ناجعاً، فاعلاً، مع ما يؤدي إليه هذا المسعى من مفارقة بين الجمال والمنفعة العمليّة الآنيّة.

وهذا ما أدى بالباحث إلى الاقتناع بأنّ التّيار العام كان لصالح الجاحظ، ظهر ذلك في القراءات اللاحقة ابتداء من العسكري وانتهاء بابن سنان، فقد أخذا من الجاحظ أهمّ مكونين للخطاب الإقناعيّ، وهما: المناسبة والاعتدال[*]. وبقي البيان في معناه المعرفيّ القريب من المفاهيم السّميائيّة الحديثة خارج المسارات التي تندفع في منحدر المجرى الكبير الذي سيسمى بلاغة، إلى أن قُزم هو الآخر (أي مصطلح البيان) في مفتاح العلوم للسكاكي، كما هو معلوم. ومن نافلة القول الإشارة إلى

أنّ العسكري فضّل – بعد ذلك – كلمة محايدة هي (الصناعتين) علامة على مادة مأخوذة، في أغلبها، من الجاحظ وابن المعتز، في حين انحاز ابن سنان لاعتبارات أديولوجيّة ذات كساء معرفيّ إلى مصطلح جديد(**): الفصاحة، معيدا جانبا كبيرا من بيان الجاحظ إلى الواجهة.

يلتقي البيان الجاحظيّ بحسب العمري مع "علم المعاني" عند السكاكيّ، ويتكامل معه في كون كل واحد منهما يبحث في علاقة الخطاب بالأحوال والمقاصد، أي في البعد التّداولي للخطاب؛ الأول (المعاني) في المستوى اللسانيّ الدّلاليّ، والثّانيّ (البيان) في المستوى اللسانيّ السّوسيونفسيّ. لقد بذل الجاحظ حسب العمري قصارى جهده للملاءمة بين مطلب مراعاة أحوال المخاطبين الذي قدمه من خلال صحيفة بشر بن المعتمر(*)، وبين مطلبي صحة اللغة وحسن التعبير.

إنّ المركز في بيان الجاحظ ومعاني السّكاكي كما يراه العمري هو الأحوالُ والمقاصد، ولذلك ظلّ البديع/ صور التعبير الشعري وأسئلته على هامشهما(**).

فالجاحظ حسب العمري يكون قد اتجه إلى بناء نظريّة للمعرفة انطلاقا من اجتهادات أوائل الأصوليّين، مثل الشّافعيّ، واعتمادا على أصداء المنطق الأرسطيّ؛ فنظر في أصناف الدّلالة من لفظ، وغير لفظ؛ جاعلا البيان في الفهم والإفهام، وموسعا أصناف الدّلالة لتتسع للفظ وغير اللفظ (الإشارة والخط والعقد والنصبة) في مشروع طموح.[١٩] وهذا الفهم الذي أشار إليه محمد العمري هو الذي جعل بعض الدارسين المحدثين يدخل البيان الجاحظي ضمن الدرس السميائي على نحو ما فعله إدريس بلمليح في كتابه الموسوم "الرؤية البيانية عند الجاحظ".

وهكذا توحي مقاربة الباحث بأنه انجرف في تيار من الدراسات نذر أصحابها

أنفسهم لتجديد التفكير في حقل البلاغة الخامل الذي سرعان ما بدأ يستعيد حيويته شيئا فشيئا، وما كان يعني محمد العمري هو التمكن من ضخ أفكار جديدة في مادة كانت تبدو آسنة أو غير صالحة، لقد وضح فحص العمري- من خلال طرح أسئلة منهاجية حديثة- أن الجاحظ لم يتجاوز الإعلان عن المشروع، إذ سرعان ما دبت البلاغة إليه تجرّ وراءها علم العرب الذي لم يؤسسوا بعد في عصره علما أصحّ منه، وتقدم أمامهما ظاهرة العصر الأمويّ التي لا يجاريه فيها عصر آخر أي الخطابة؛ وهو ما وقف عليه الباحث إحسان النص حينما عدّ العصر الأمويّ بحق العصر الذهبيّ للخطابة العربيّة[٢٠]؛ تتقدم الخطابة لأنّها مطلب العصر بالنّسبة للمعتزلة (ومنهم الجاحظ) الذين شرعوا في بناء وسائل الإقناع والحجاج ضد خصوم الإسلام، وخصوم المذهب، وضدّ طغيان الاستبداد؛ وكأنّ ضغط الخطبة[*] نصا ومطلبا في تقدير العمري كان له كبير الأثر في بداية تراجع الجاحظ عن مشروعه البيانيّ من صفحة لصفحة عبر كتاب البيان والتبيين، فيقايض البيان بالبلاغة في أوّل الأمر، ثمّ يقايض البلاغة بالخطابة، فيعطينا أوّل – وربما آخر – صياغة لخطابة إقناعيّة ابتداء من جهاز نطق الخطيب وعيوبه الفيزيولوجيّة النطقيّة انتهاء بالأحوال والمقامات[**] الخطابيّة مع ما يتطلبه ذلك كلّه من ثقافة ومعرفة بالإنسان واللغة[٢١].

وهكذا، خنقت البلاغة المشروع البيانيّ عند الجاحظ، فلم يبق منه غير الخطة الأولى والطّموح، وقد أشار العمري إلى تنبه البلاغيّين، بعده، إلى ذلك فقال ابن وهب، الذي أعاد النظر في الموضوع بعد وفاة الجاحظ بعدة عقود في كتابه البرهان في وجوه البيان: «أما بعد فإنّك كنت ذكرت لي وقوفك على كتاب الجاحظ الذي سماه كتاب البيان والتبيين، وأنّك وجدته إنّما ذكر فيه أخبارا منتخلة وخطبا منتخبة، ولم يأت فيه بوظائف البيان، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان، فكان عندما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه»[٢٢]. إذاً، نلحظ – وَفق فهم العمري

– أنّ التيار قد جرّ الجاحظ فاكتشف جزيرة غير التي قصدها في منطلق رحلته، وكانت هي الجزيرة المناسبة لمسار التّيار العربيّ، ولذلك لقي كتابه من العناية ما لم يلقه كتاب ابن وهب من القديم إلى اليوم. ولم يهتم النّاس كثيرا بالمفارقة بين المشروع والمنجز من كتابه[٢٣]. ويبدو الأمر – من خلال مقاربة الباحث لفكرة البيان والمقام عند الجاحظ – ملتبسا عليه في قضية السّابق واللاحق وحقّ له ذلك؛ بحيث لا يكون من السّهل الحسم في أمر السّابق واللاحق داخل ذهن الجاحظ: هل فكر أولا في المقام ثمّ حاول تأطيره بمفهوم البيان، أم إنّ البيان العام هو المنطلق لتفكيره ثمّ انحسر وضاق حتى لم يبق منه إلا البيان باللغة، فاحتكم فيه إلى المقام.

هكذا، من على شرفة هذا الفهم، لا نجانب الصواب إذا قلنا: إنّ غاية البيان عند الجاحظ –بفهم العمري– هي الإفهام من أيّ طريق كان، وبأيّة وسيلة، والوسيلة إما علاميّة (نصيّة وغير نصيّة)، وإما مقاميّة (تداوليّة) وهذه الفكرة هي التي قادت العمري إلى محاولة توضيح أنّ البيان يلتقي بالمقام لقاء السّميائيّات بالتّداوليّة، بمعنى أنّ المقام بهذه الصفة لا يضمن حضور البيان بكل مكوناته، بل سيحل الخاص محل العام، بل سيجره ليحاصره في زاوية ضيقة، هي زاوية الخطابة بمعناها الضّيّق.[٢٤]

ويمكن أن نصدح في هذا المضمار بأنّ ما تقدمه بلاغة الخطاب الإقناعيّ من إمكانات إشارية مصاحبة للألفاظ ومساعدة لها (حال الإلقاء، والإنشاء) لا يمكن بحال من الأحوال أن يعوض البيان ما فقده جرّاء التّحول من مفهومه العام، أيّ الفهم والإفهام[*] بكل أصناف الدّلالة من لفظ وغير لفظ (الإشارة والنّصبة والخط والعقد) إلى الإفهام باللفظ فحسب تبعاً للمقامات والأحوال.

هكذا، تؤكد مقاربة العمري أنّ المقام لم يكد – وهو الذي حلّ محل البيان بفهمه – يستقر في مقعد القيادة حتى اصطدم بالـهُجنة اللغويّة، وبمفهوم عام

للفصاحة لا يفرّق بين الأجناس فثارت حوله الشّبهات وبدأت عملية التّراجع عن المقام لصالح الفصاحة؛ والذي يؤيد هذا الطرح هو الخطوة التي قام بها العمري في سياق فحصه للنّصوص الجاحظيّة؛ حيث بيّن أنّ الجاحظ نفسه عارف في الحين أنّ لقمة المقام لم تكن سائغة، كانت باردة من الخارج فحسب، فنفث أكثرها.[٢٥]

وقد اتكأ العمري على هذا الفهم ليفسر به تراجع الجاحظ عن الإطلاق الذي قدّم به شواهد تحكُّم الغرض في الوسيلة؛ من ذلك كما يذكر العمري تقييد الجاحظ لكلام العتابيّ الذي أورده مطلقاً في قمة نشوة الحديث عن المقام، قال: «والعتابيّ حين زعم أنّ كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، لم يعن أنّ كل من أفهمنا من معاشر المولدّين قصده ومعناه، بالكلام الملحون، والمعدول عن جهته، والمصروف عن حقّه، أنّه محكوم له بالبلاغة كيف كان، بعد أن نكون قد فهمنا عنه. ونحن قد فهمنا معنى كلام النّبطيّ الذي قيل له: لم اشتريت هذه الأتان؟ قال: أركبها، وتَلدَ لي. وقد علمنا أنّ معناه كان صحيحاً...»[٢٦].

إنّ الذي لا ندحة عنه في تقدير العمري أنّ ما يشوب كتاب البيان والتبيين من تردد بين الإطلاق والتّقييد والتّعارض بين المشروع والمفكّر فيه والمنجز الملموس يرجع إلى تعايش مفهومين كبيرين يقتضي ضبط الحديث في الموضوع التّمييز بينهما[*]:

أولا: مفهوم البيان باعتباره بحثاً في المعرفة والتّواصل عامة: كيف نعْرف؟ وكيف نوصل ونؤثّر؟ ولاشكّ أنّ هذا المفهوم الذي عبّر عنه الجاحظ في الحيوان، من خلال النّص المشهور نفسه الذي اعتمده في البيان والتبيين يشكّل روح أعماله كلّها باعتبارها اجتهادا في مجال تداول المعرفة بشكل أساسيّ. ويبدو مفهوم الجاحظ لصياغة نظريّة معرفيّة سابقا لأوانه بالنّظر إلى التّراكم الثّقافيّ المتاح في عصره، فما هو متاح لا يعدو أن يكون عبارة عن[٢٧]:

- اجتهادات أولى للأصوليّين، وفكرة العمري هنا هي ما قصده الجابري حينما بيّن أنّ مفهوم البيان «يقفز»[٢٨] من المستوى اللغويّ إلى المستوى الاصطلاحيّ في تعريف الإمام الشافعيّ له في كتابه الرّسالة، حيث يتضح من خلال مناقشته لمسائل البيان أنّه اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول، متشعبة الفروع[٢٩] وكأنّ العمري أراد أن يثبت أن الجاحظ قد تأثر بهذا المفهوم الذي يجعل النّص القرآنيّ دليلا على معان يحاول الأصوليُّ وضع أصول (أي قوانين) لاستكشافها، كما هو متأثر بالمفهوم الكلاميّ الذي يجعل الكون دليلا على وجود الله وقدرته، بيد أنّ العمري لا ينحو منحى الجابري الذي وسم الفكر العربي بالبيانيّة في مقابل العقلانيّة اليونانيّة، فـ«البيان مجال، أما البيانيّة كطابع، إن وُجدت، فهي مرحلة»[٣٠].

- أصداء الثّقافة اليونانيّة، إذ يبدو أنّ الأفكار العامة لمنطق أرسطو وفلسفته كانت معروفة إلى حدّ ما في عصر الجاحظ، ولكنّها كانت غامضة بالقدر الذي يسمح بالتّفكير بموازاتها، أو بعيدا عنها، باستثناء فنّ الخطابة الذي يظهر أنّه فهم فهما جيّدا في جانب تأسيسه لبلاغة الإقناع على المقامات والأحوال. بيد أنّ نقل المفهوم مفصولا عن النّسق العام الذي يقتضي تمييز الخصوصيّة الشّعريّة جدير بأن يؤدي إلى الخلط، وقد بذل الفلاسفة فيما بعد جهدا لتدارك هذا الجانب؛ فظهرت آثار أعمالهم في تصور متأخر، مثل حازم القرطاجني وابن خلدون.

ثانيا: مفهوم البيان باعتباره فصاحة لغويّة نصّيّة وأدائيّة، بل نصيّة/ أدائيّة، الأمران وثيقا الارتباط عنده، إذ فصاحة النّص تظهر عند أدائه، ومن المعلوم أنّ الجاحظ تحدث عن العيوب النّطقيّة، كما تحدث عن انسجام الكلام وتوازنه ليصير

خفيفا على اللسان، يجري عليه كما يجري الدّهان. وهذا المنحى هو الذي يجعل الجاحظ منظرا، بل أوّل منظّر للخطاب الإقناعيّ الشّفويّ. إنّ المتأمّل لقراءة العمري يلحظ أنّ قضية المشروع والمنجز من القضايا الأساسيّة التي اتكأ عليها في فحص البلاغة الجاحظيّة، فقد كان الطموح والدافع المذهبيّ يؤديان أحيانا إلى وجود اختلاف كبير بين الوعود النّظريّة والبناء المنجز[٣١] كما يفهم من طرحه. وقد حاول الباحث محمد العمري تلخيص موضوع البيان عند الجاحظ في الخطاطة التالية[٣٢]:

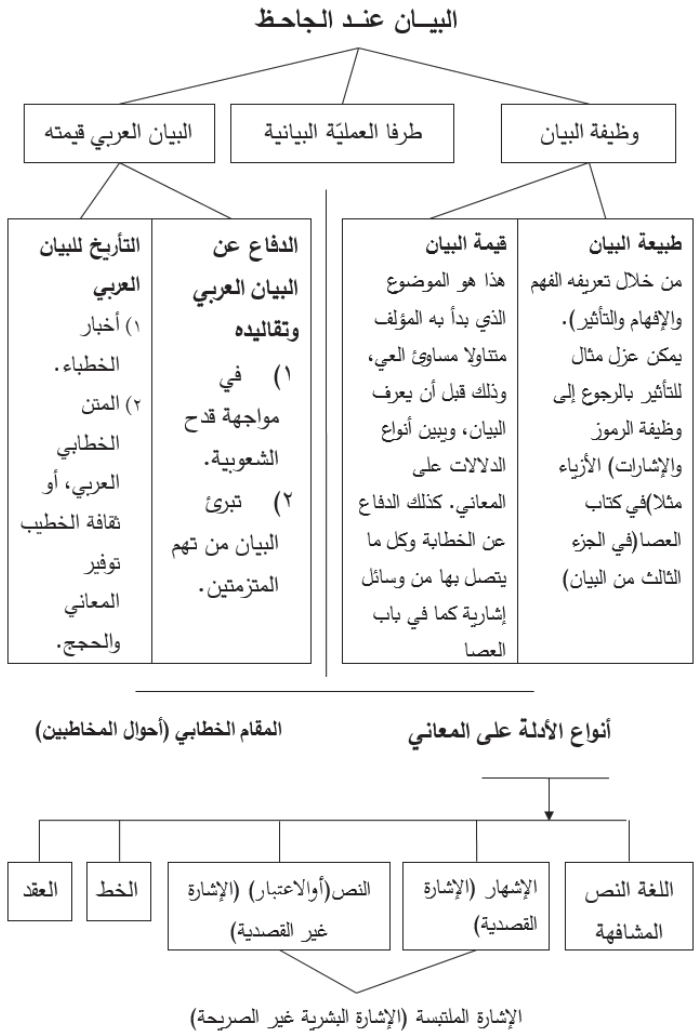

نستبطن من مقاربة العمري لمفهوم البيان عند الجاحظ، وكأنّ الباحث يبرهن على قضايا مشكوك فيها، حيث ركّز أحيانا على التّفاصيل (مثل بيانه لأنواع الأدلة على المعاني (ينظر المخطط)، مع خطاطة مجسدة تكون حجة على ما يقول، وهكذا، تحمل مقاربة العمري بين حناياها بعدا حجاجيّا؛ وكأنّي به يرى الجانب الحجاجيّ مهما في جعل الحوار بنّاء؛ فالعمري إذن حرص على الإمساك بمشروع الجاحظ، وعرضه في خطوات بيداغوجيّة غرضُها حجاجيّ في الواقع. لينتهي إلى أنّ البيان الجاحظيّ بوصفه مهتما بالفهم والإفهام، فهويمتد، في المشروع والطموح، إلى نظريّة في المعرفة (استنباطا ومعالجة وتداولا)، ويتراجع في المنجز حسب مقتضيات اللحظة التّاريخيّة معرفة، ووظيفة إلى تقنيّة في التّأثير والإقناع.

وعلى الجملة، فإنّ ما رام العمري بيانه للقارئ هو ملاحظة كيفيّة تقلص المشروع البيانيّ بشكل عمليّ ملموس، وذلك انطلاقا من تتبعه مفاهيم وتعاريف الجاحظ للبيان، بحيث بيّن أنّ الجاحظ سرعان ما كان يقايض البيان بالبلاغة ثمّ يقايض البلاغة بالخطابة دون إعلان، أو بيان علاقة هذا بذاك، وهو في كلّ هذا يقدم تفسيرا طريفا لكتابي الجاحظ: «البيان والتبيين» و»الحيوان»؛ حيث يرى أنّهما ينطويان على مشروع متكامل لصياغة مفهوم البيان؛ بمعناه السّياسيّ الاجتماعيّ في الكتاب الأول، ومعناه المعرفيّ في الكتاب الثاني؛ إذا يخوض الجاحظ في «البيان والتبيين» معركة فكريّة حضاريّة، لأجل ذلك انشغل بتجميع كل المواد التي تسهم في تكوين الخطيب القادر على خوض معركة الحجاج من أمثال وحكم وخطب وأشعار المذاكرة[٣٣]. وهو في كتاب «الحيوان» يتأمّل أسرار الكون وغرائبه، «هذا المجال الذي دعاه الجاحظ النّصبة والاعتبار»[٣٤]. أي إنّ «البيان» في هذا السّياق معرفة، واستكشاف للكون باعتباره علامة دالة. ونقول إنّ الذي يمكن أن يفهم من

طرح العمري هو أنّ بلاغة الجاحظ هي الوحيدة الحاملة بين ثناياها البعد المقامي (الإقناعيّ) المنطقي المتعلق بالمجال السيكولوجيّ والاجتماعي الذي اهتمّ به أرسطو كثيراً في الخطابة(*).

خاتمة:

لعلنا لا نجافي الصواب إذا قلنا إنّ الباحث بطرحه هذا؛ يريد إعادة النظر في الموروث البلاغيّ والنّقديّ العربيّ؛ نظراً يستند إلى ما نحتته علوم النصّ والأسلوبيّة والشّعريّة والسّيميائيّة وحركة النّقد الجديد في فرنسا، من مفاهيم لمعالجة قضايا الخطاب الأدبيّ وأسرار الإبداع فيه، وما صاغته من تصوّرات عن مباني القول، وتولّد معانيه؛ فجاء الحاصل من هذا النّظر قراءة مخصبة أبانت عن خصائص في المنوال البلاغيّ العربيّ كانت خافيّة وأدرجت النّص البلاغيّ العربيّ في بعض مدارات الأسئلة العلميّة الحديثة؛ كما طرح الباحث أسئلة مهمّة، ما زالت في حاجة إلى معالجة وتدبّر.

وإجمالا لا يتصفح متصفح كتاب الباحث محمد العمري إلا ويدرك التّجربة النّقديّة التي تثوي وراء التّصنيف، و بشيء من التّأمل والتّروّي يدرك كل مهموم بإعادة قراءة التّراث النّقدي أنّ طرائق المعالجة التي توسل بها الباحث تقع في صميم الهاجس التّجديديّ، سواء أجنح الخطاب إلى الإعلان عن الجدّة أم تلطف بها واقتصد فيها؛ فقراءة الباحث للنّصوص البلاغية كما وقفنا عليه جاءت في ظاهرها خالصة للبحث الأسلوبيّ الإنشائي، وفي حقيقتها مشروع قراءة تفتح على إمكانات متعددّة في البحث، وتوحي بمسالك في التّناول تختلف عمّا سُلك، وتطرح من الأسئلة أكثر مما تقدم من الإجابات.

وبهذا، يمكن أن نفسر ما فيها من عدم التزام بطريقة في النّظر تقصي ما سواها، وزهد في تبني نسق تبنّيًا مدرسيًّا، وما فيها من وجوه التّردّد والحيرة عند معالجة الظّواهر التي لا تسلم قيادها إلا باسترفاد مناويل أخرى في الشّرح، والتّأويل، لأنّها تقدّم من الخطاب، ومن الظّاهرة اللغويّة عموما جانبا لا تعتّد الدّراسات الأسلوبيّة والإنشائيّة به في ما تبني من مقدمات، وتقترح من طرائق في المعالجة.

ولولا هذا التّنازع في التّأويل المتولّد عن التّسامح أو المرونة في إجراء الأنساق لما أمكن لهذا البحث أن ينتبه إلى أهميّة نظرية البيان باعتبارها أصلا جامعا لكل تصورات الثّقافة العربيّة للإنجاز اللغويّ على اختلاف المستويات التي يتنزّل فيها، وسلطة بعيدة التّأثير في إدراكها لأبنيّة اللغة الرّمزيّة والأدبيّة وتحديد وظائفها؛ ذلك أنّ البيان وإن كان أصلا جامعا لكل إنجاز لغويّ، وقاعدة كل تصور لوجوه تصريف اللغة تصريفا راقيا لم يقم البلاغيون – بحسب ما أفاد به محمد العمري – بالتّفكير في جمال العبارة، وقدرة المتكلم على إتيان المعرض الحسن لترويج معانيه بألفاظه كما كان يقال، ولا في ما يترتب على ذلك من إمتاع وأريحيّة تحصلان للسّامع أو القارئ، وإنّما من ارتباط الفعل اللغويّ بالمنفعة والنّجاعة لديهم بحكم المدونة التي نظروا فيها، وهي مدونة تتشكل – في جلّها – من نصوص أُنجزت في مقامات خطابيّة، واحتفظت بما يدلّ على أصولها الشّفويّة، وعلى نوعيّة المقام(*) الذي قيلت فيه. وقد كان أغلبها من باب المنازعات، والمناظرات، ومقارعة الحجّة بالحجة، وإفحام الخصوم للظهور عليهم وتكذيب مقالتهم، فنشأ عن كلّ هذا تضافر لا يمكن حلّه بين الجميل والنّافع وتلازم يكاد يطرد بين التّفوق والنّجاعة.

والذي تأكد لنا في كل هذا هو ائتلاف الجهاز المعرفيّ للباحث بتصورات مستحدثة

سلك بها قنوات أدائيّة متميزة نوعيّا، فمحمد العمري كما مرّ بنا حاور البلاغة العربية بمجهر المقولات المبتكرة ثم عبّر عن حصيلة الاستكشاف بواسطة خطاب إبلاغيّ مستحدث، وهكذا تجنب الإسقاط، معتدا بالاستنطاق، وكان هاجسه في كلّ هذا هو استنباط علاقات من نصوص الجاحظ تخفى على الحسّ الظّاهر، واشتقاق قرائن تتوارى ثاوية وراء ملفوظ نصوصه، ف محمد العمري إذن لم يتقيّد بشبكة الدّوال على حساب نسيج المدلولات، ولم يرهن مطارحته بمنظار المعنى على حساب ضفير الأشكال، بل إنّ مقاربته كان همّها الأوكد أن تعثر على نمط من انسجام مقولات البلاغة العربية تخرجها على هيئة تشكيل صوريّ.

الهوامش

(*)- للوقوف على الخلفيات الابستيمية المؤسسة لهذه الأسئلـــة ينظر : الندوة الموسومة بـ نحو بلاغة رحبة لتحليل الخطاب" قراءة في المشروع العلمي للدكتور محمد مشبال الوطنية التكريمية للدكتور محمد مشبال والمنعقدة بتاريخ ٢٤ ـ ٢٥ فبراير ٢٠١٦ والذي نظمه مختبر الترجمة وتكامل المعارف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-مراكش، وينظر أيضا: مجلة البلاغة وتحليل الخطاب مجلة فصلية محكمة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

(١)- محمد اليملاحي: أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، مقاربة لمشروع محمد العمري، ضمن البلاغة وتحليل الخطاب إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف،ط١٠- ،٢٠١٤، ص٢٤١

(*)- يتنزّل طرح الباحث في سياق عودة البلاغة إلى مجال الدراسات والنقد الأدبيين، وهي العودة المظفرة التي دشنها بيرلمان، ورولان بارت، وبول ريكور، وأوليفي روبول، وشارل مايير في مجال البلاغة العامة، وستيفان أولمان، وبيرسي لوبوك، وواين بوت في مجال بلاغة السرد، وبهذا بحثت دراسة العمري واهتمت بالعلاقة بين المعلن والمنجز في التراث البلاغة، جاعلة الخطاب في نسق كلي، بحيث لا يُفهم الجزء إلا في سياق الكل.

(*)- لعل أبرز دراسات الباحث: (وهي مرتبة حسب تاريخ صدورها ترتيبا تصاعديا):في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) الخطابة في القرن الأول نموذجا عن دار الثقافة في الدار البيضاء ١٩٨٦، والبلاغة العربية أصولها وامتداداتها عن أفريقيا الشرق بالدار البيضاء ـ بيروت ١٩٩٩، والبلاغة الجديدة بين التخييل والتداول عن أفريقيا الشرق بالدار البيضاء ـ بيروت ٢٠٠٥، ومنطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين عن منشورات جمعية وادي الحجاج ـ دار القرويين بالدار البيضاء ٢٠٠٩.

(*)- مثل كتاب الشاهد البوشيخي: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، و أعمال إدريس الناقوري،وتحقيق علال الغازي لكتاب :(المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع للسجلماسي) وتحقيق رضوان بنشقرون لكتاب : (الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء) وتحقيق محمد ابن شريفة لكتاب: (التنبيهات على ما في البيان من تمويهات لأبي المطرف أحمد ابن عميرة)...

(*)- من أبرز أقطاب هذا التيار في المغرب نذكر: محمد العمري، ومحمد مشبال و محمد الولي....

(*)-من أبرز أقطاب هذا التيار في المغرب نذكر: طه عبد الرحمن،ومحمد مفتاح، وحسان الباهي وحمو النقاري....

(*)-من أبرز أقطاب هذا التيار في المغرب نذكر: عبد الإله سليم، ومحمد غاليم،....

(٢)- محمد اليملاحي: أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، مقاربة لمشروع محمد العمري، ص٢٤٣.

(*)- والفرق كبير طبعا بين التوفيقية والتلفيقية، فالتلفيق هو أن نجمع بتحكم بين المعاني والآراء المختلفة حتى نؤلف منها مذهبا واحدا، وهذه المعاني والآراء لا تبدو لك متفقة لعدم التعمق في إدراك بواطنها، ولذلك كان استعمال هذا اللفظ في مقام =الذم أكثر منه في مقام المدح. ومذهب التلفيق مقابل لمذهب التوفيق، لأن مذهب التوفيق لا يجمع من الآراء إلا ما كانت وحدته مبنية على أساس معقول، أما مذهب التلفيق فلا يبالي بذلك، لأنه يقتصر على النظر في الأشياء نظرا سطحيا للوقوف على هذه المصطلحات ينظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج١/ ٣٦٥.

(٣)-الجراري، عباس: خطاب المنهج، منشورات السفير، ط١، ١٩٩٠،، ص٤٥.

(٤)-ينظر:محمد الناصر العجيمي: النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة ط١، ديسمبر ١٩٩٨.، ص ٤١٩ وما بعدها.

(٥)-محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٩.، ص ٠٩.

(٦)-الكتاب وصناعة التأليف عند الجاحظ، الوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠٠٤، ص ١١-١٢.

(٧)-محمد العمري. البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، (ينظر للمنهج الذي أعلنه في المقدمة)

(٨)-ينظر: المصدر نفسه من المقدمة، ص١٦

(٩)-محمد العمري. البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص١١

(*)-يتأكد التذكير في هذا المقام أنّ مواقف دارسي الأثر اليوناني في فكر الجاحظ قد تراوحت بين إنكار الأثر اليوناني – خاصة الفلسفي – على الجاحظ، والإقرار الصريح به، كما تفاوتت المؤلفات التي أقر أصحابها بهذا الأثر في تقدير حجمه وقيمته، وفي منهج العرض، بين التركيز على نقاط محدودة، والجنوح إلى التعميم وتوسيع مدى النظر مما أفضى إلى تغطية مساحات أقل أهمية، والعبور على غيرها مما يتمتع بأهمية أكبر. ويرى عبد الحكيم راضي أنّ القاسم المشترك بين هذه الدراسات هو: «التغاضي عن خصوصية الثقافة الفلسفية للجاحظ التي انحاز فيها إلى مذهب الطبيعيين، وعن خصوصية موقفه العقدي، الذي دفع به إلى تزعم فرقة عرفت بالانتساب إليه، وكذلك التغاضي عما كان لالتقاء الفلسفة عنده بالدين وكيف انصهرت معارفه الفلسفية في بوتقة فكره الديني ومبادئه الكلامية بصفة عامة، فكان له من ذلك مزيج خاص أحسن توظيفه والإفادة منه في فكره الديني ومواقفه السياسية ونظراته البلاغية والنقدية». عبد الحكيم راضي: الأبعاد الكلامية والفلسفية في الفكر البلاغي والنقدي عند الجاحظ، ط٣، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٦.، ص٠٨.

(١٠)-حيث انتهى صمود من إنجاز هذا العمل سنة ١٩٨٠م، وصدر ضمن منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٨١م، وقد عولج البيان في كتابه من منظور حداثي لساني واعٍ باختيارِه ومخلصٍ له. ينظر أيضا الطبعة الصادرة عن دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط٠٣، ٢٠١٠. وينظر كذلك تعليق محمد العمري على مشروع صمود،ص١٠

(١١)-محمد العمري: البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص ١٣.

(*)-وقد وقف الباحث أمام البعد الإقناعي للبلاغة العربية في كتابه الأول "بلاغة الخطاب الإقناعي"، وذكر أن هذا البعد كان حاضراً عند الجاحظ على وجه الخصوص، مخالفا بذلك طرح الباحث حمادي صمود في كتابه "التفكير البلاغي عند العرب" الذي ينفي وجود البعد الإقناعي للبلاغة العربية/ الجاحظ، حيث حصر صمود كما سنقف عليه الحدث الجاحظي بالوظيفة الإبلاغية لا الإقناعية؛ أي إنّ دور البلاغة عند الجاحظ بفهم حمادي صمود يتوقف عند الإفهام لا التداول والحجاج والإقناع، كما ذهب صمود أيضا إلى أن القرآن والحدث الجاحظي هما من وجّها البلاغة العربية هذا التوجه.وبهذا يكون الفصل الذي خصصه العمري "للبيان" – في تقديرنا – موجها لإبراز البعد الحجاجيّ في البلاغة العربيّة من جهة، عطفا على كونه يمثل محاورة مع مجموعة من الدّارسين الذين كانوا يبحثون عن مصطلحات نقد الشعر في كتاب البيان والتبيين.

بيد أننا حين نفصل بين البلاغية والإبلاغية بحدّة، ونتجهُ بالبلاغية نحو مفهوم "الأدبيّة" بالمفهوم الذي صاغه الشكلانيون اللسانيون فإنّ المسافة بيننا وبين الجاحظ ستتسع حتى يغيبَ عن مدى نظرنا، أما حين نترك ياكوبسون وجماعة الشكلانيين عامة ونقترب من البلاغة الجديدة كما صاغها بيرلمان في إطار منطق القيم فإننا سنجد المفاهيم الجاحظية في قلب المخاض البلاغي.

(١٢)-محمد العمري. البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص ٣٢ وقد وضح العمري هذه الفكرة تقريبا في كل كتابه.

(١٣)-كان اهتمام الجاحظ – في تقدير الجابري – منصبا حول قوانين إنتاج الخطاب وذلك بخلاف الجهود التي حاولت التّركيز على شروط تفسير القرآن، وأبرز من مثل هذا التوجه في تقدير الجابري هو الإمام الشّافعي حيث كان «أوّل واضع لقوانين تفسير الخطاب البيانيّ وبالتّالي المشرّع الأكبر للعقل العربيّ» محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٠٩، ٢٠٠٩.ص ٢٦. والجاحظ/ المتكلم في فحص الجابري لم يكن معنيا بقضية «الفهم»، فهم كلام العرب وحسب، بل لقد كان مهتما أيضا، ولربَّما في الدّرجة الأولى «بقضية الإفهام»، إفهام السامع وإقناعه وقمع المجادل وإفحامه»، ومن ثم فقد خلص الباحث إلى أنّ اتجاه الجاحظ غير اتجاه الشّافعي، فالجاحظ « يدخل السامع كعنصر محدد وأساسيّ في العمليّة البيانيّة، بل بوصفه الهدف منها، الشيء الذي كان غائبا عن اهتمام الشّافعي الذي كان يهمه بالدرجة الأولى قصد المتكلم» محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص ٢٦.

(١٤)-ينظر: محمد العمري. البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص١٨٩

(**)-نشير بذلك إلى استغلال الخطيب للمعطيات المنطقية، والشعرية (موسيقية وسردية) والسيكولوجية، والأخلاقية... ذلك لغرض التأثير والتفعيل.

(***)- هذا الفهم كما بدا لنا يبعد الباحث عن كثير من الحرج الذي يؤدي إليه الحديث عن البيان باعتباره صفة للعقل العربي، حتى ولو قيد ذلك بمرحلة تاريخية. عطفا على أنّ ارتباط البلاغة باعتبارها صفة للكلام بالنثر كما يظهر من الكتب التي ألفت تحت العنوان مثل: نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ...وهناك مع ذلك بلاغات النساء من الشعر وغيره.

(١٥)-محمد العمري. البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص١٦

(١٦)-ينظر: المرجع نفسه، ص ١٦.

(*)- وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه دولة لِـ: عبد الرحيم الرحموني نوقشت بالمغرب.

(١٧)-ينظر:المرجع نفسه، ص ٢٠٠.

(١٨)-المرجع نفسه، ص ١٣.

(*)- لإدراك طرح العمري هذا ينظر: المرجع نفسه، ص ٤٣١ – ٤٤١. والصفحة ٢٩١. وقارن بـ ص ٢٧١.

(**)-يقصد الباحث بالجدة عدم ظهوره قبلُ عنوانا لكتاب في وصف الخطاب الشعري والتداولي.

(*)- ما يفسر إيراد الجاحظ لصحيفة بشر بن المعتمر هو ارتباط الخطابة بالنزعة المذهبية مما جعل أصحاب الفرق وزعماء الملل يهتمون بقوانين صناعتها، حيث كانوا يعلمون ذلك صبيانهم والناشئة من ذويهم، ويمكن أن نعد هذه الصحيفة منهاجا لتعليم الخطابة، فيها أحكام تتعلق بظروف الكتابة والهيئة الواجبة للخطاب، وفي خاتمها كما يقول صمود: «مقاييس تساعد الرّيض على معرفة حظه من التوفيق فيها وما هو أهل له منها». ينظر: حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب،أسسه وتطوره إلى القرن السادس، مشروع قراءة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط٠٣، ٢٠١٠، ص١٧٣ -١٧٤.

(**)- بمعنى أنّ الجاحظ وفق طرح الباحث كان يبحث عن نظرية للمعرفة فوقع في البلاغة.

(١٩)-محمد العمري. البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص٢٠٦

(٢٠)-يراجع:إحسان النص:

- الخطابة العربية في عصرها الذهبي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٤.
- الخطابة السياسية في عصر بني أمية، منشورات دار الفكر، دمشق، دت.

حيث نلحظ أنّ المؤلف يكثر من الإحالة على كتب الجاحظ خاصة البيان والتبيين وذلك مهما كان الجانب المدروس.

(*)-اهتم الجاحظ بالخطباء على مختلف مللهم ونحلهم واختصاصهم في العلم فتحدث عن الخطباء من الشعراء والعلماء الخطباء والخطباء من النساك والزهاد. ينظر:البيان والتبيين، تحقيق عب دالسلام محمد هارون، ط٠٣، نشر مؤسسة الخانجي، القاهرة، دت.١/ ٥٢. والمتأمل في خطب الجاحظ يتضح له أنها كانت تدور على محاور ثلاثة؛ الأول ديني سخرت بمقتضاه الدعوة إلى التوحيد، والثاني سياسي وكثيرا ما يشترك مع المحور الأول وقد استعملت الخطابة في هذا المحور لبسط النفوذ وإقرار نظام الحكم، أما المحور الثالث فهو جدلي مذهبي. راجع: حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص ١٧١-١٧٢.

(**)-المقام: (Situation):لعل أهم ما تولد عن فكرة المقام عند الجاحظ مبدأ نسبية الأحكام الأسلوبية فتكون البلاغة بلاغات والفصاحة فصاحات، وعلى ضوء هذا الاعتبار نفهم رغبة الجاحظ عن تصنيف الوجوه البلاغية وضبطها إذ هي مقاييس متحولة بتحول المقام؛ معنى ذلك من الوجهة النظرية أن الحكم البلاغي نسبي لا ينفصل عن مدى ترابط النص والسياق الذي يتنزل فيه، وقد أفضى هذا التصور بالجاحظ إلى القول بأن بلاغة بعض الأجناس الأدبية تكمن في خروجها عن قوانين = البلاغة والفصاحة. كما نتج عن اهتمام الجاحظ بفطرة المقام والسياق انصهار الظاهرة ونقيضها في بوتقة تصوره البلاغي العام: فالإيجاز بلاغة، والإطالة بلاغة، كما أن التصريح بلاغة، والكناية بلاغة، والوحي والإشارة بلاغة.

(٢١)- ينظر: محمد العمري:، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣.ص ١١٤.

(٢٢)-ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٤٩.

(٢٣)-ينظر: محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص ١١٤.

(٢٤)-ينظر: المصدر نفسه،ص ن.

(*)- إنّ أول ما نبع عن غاية الفهم والإفهام عند الجاحظ السعي إلى نجاعة الخطاب وضمان فائدته، وكل ما يضمن ويؤدي إلى ذلك فهو في صلب المقاييس الجاحظية. ينظر:جمال حضري: المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية، للدراسات والنشر والتوزيع،

بيروت، ط١، ٢٠١٠.ص ٦٥.

(٢٥)-الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ١٦١. وينظر: محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢٦)-الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ١٦١. وينظر: محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص ١٢٩-١٣٠.

(*)- يمكن إدراك هذا الطرح من خلال الفصل الرابع من القسم الأول المعنوان بـ"المعرفة والإقناع، من البيان إلى البلاغة، ص ١٨٧-٢١٣ من كتاب البلاغة العربية أصولها وامتداداتها.

(٢٧)-ينظر: محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص ١٣٠.

(٢٨)-محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩،٠٩.، ص ١٨.

(٢٩)-راجع: الشافعي، محمد بن إدريس: الرسالة، المكتبة العلمية، بيروت. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر.

(٣٠)-محمد العمري. البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص ، هامش ص ١٩٦.

(٣١)-ينظر: محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص ١٣٤.

(٣٢)-محمد العمري. البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص ١٩٤.

(٣٣)-ينظر: محمد العمري: الموازنات الصوتية، في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، أفريقيا الشرق، ٢٠٠١، دط ص ٢٠٥.

(٣٤)-المرجع نفسه، ص ١٩٥.

(*)-المقصود بالمجال السيكولوجي والاجتماعي الذي اهتم به أرسطو هو تفصيله القول في فكرة الملاءمة بين المقام والمقال حيث بين أنواعها ومقاماتها وحدد لكل نوع معالم لتعذر الإطار النظري الشامل لها – فجاءت متطلبات الخطابة الاستشارية أو الحملية(Le delieratif) مختلفة عن متطلبات النوع القضائي (Le judiciare) وهذه بدورها مختلفة عن متطلبات الخطابة الاستشارية (Demonstratf). ولئن صادفنا لدى صاحب البيان والتبيين منزعا في دراسة

الخطابة شبيها بمنزع أرسطو كما ذهب العمري كتحديد أنواعها وضبط ما يلائمها من أساليب، فإن وجه الطرافة في تفكيره كما يقول صمود: «أنها لم تتولد – أي الملاءمة – عن هذا السبب الضيق، ولا نبالغ إن قلنا: إن دور مقام الخطابة في بروز هذه الفكرة عنده ثانوي إذا قيس بما خصصه لمنزلة المخاطب اللغوية والاجتماعية. والطرافة بل والأصالة في هذا المجال ربطه ربط النتائج بالأسباب، هذه الفكرة بوضع لغوي نوعي كانت عليه العربية في ذلك العصر، وهو وضع يعكس التركيبة الاجتماعية والطبقية السائدة، وبذلك وفق إلى إدراجها ضمن إطار تاريخي مؤهل، موضوعيا، لإفرازها إفرازا ذاتيا فينسى القارئ أصولها ويغلب على ظنه أنه اخترعها اختراعا». حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص ١٩٤-١٩٥. ورغم أهمية طرح العمري فإننا نذهب مذهب صمود من كون أصول التقسيم عند الرجلين مختلفة: فأرسطو يؤسسه على المضمون؛ «فالاستشارية أو الحملية» مضمونها النصيحة والتحذير، و«القضائية» التقاضي كما يدل عليها اسمها، أما الاستدلالية في خطب المدح والذم لذلك نجد إلى جانب الكليات الخطابية خاصيات مرتبطة بكل نوع. أما الجاحظ فيعتمد في تقسيمه على المناسبة التي تلقى فيها الخطبة، ولم يهتم بقضية المضامين، فذكر ما يقال في المساجلات ومناظرات وما يقال في القتال والحرب، كذلك ذكر خطب المفاخرات والمنافرات وخطب المصاهرة. ينظر: البيان والتبيين،١/ ١١٧، ٣/ ٦.و في مقابل البعد المقامي المنطقي، أشار محمد العمري كذلك إلى وجود البعد التداولي اللساني السياقي الذي يهتم بملاءمة العبارة للمقاصد. وهو مبحث في تقدير الباحث غني جدا في البلاغة العربية وهو الذي صاغهُ السكاكي في أعقاب عبد القاهر الجرجاني، وعده مركزاً للبلاغة ولبّاً لها، وقد بينه محمد العمري في الفصل الرابع من القسم الثاني من كتابه "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها".

(*)- بالغ بعض قراء مسألة التأثير الأجنبي على البلاغة العربية وذلك حين رأوا أنّ كثيرا من القوانين والمبادئ التي تتركز عليها نظرية الخطاب عند البلاغيين المعتزلة ومنهم الجاحظ – نحو مفهوم المنفعة وربط المقام بالمقال ومراعاة مقتضى الحال(Convenance)–أجنبية يمكن ردّها إلى السوفسطائيين وإلى طريفة سقراط في توليد المعاني، نذكر منهمإبراهيم سلامة: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مطبعة الأنجلو المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٥٢، ص٦٩، ص ٣١-٣٧. وبهذا نقول إن الجنس البشري يتمتع بقاسم مشترك أعظم من الفطنة يوصلهم إلى نتائج متشابهة إن فكروا في نفس الموضوع.

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم سلامة: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مطبعة الأنجلو المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٥٢

٢. ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٩

٣. إحسان النص:الخطابة العربية في عصرها الذهبي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٤.

٤. إحسان النص:الخطابة السياسية في عصر بني أمية، منشورات دار الفكر، دمشق، د ت.

٥. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٠٣، نشر مؤسسة الخانجي، القاهرة، دت.

٦. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت،.

٧. الجراري، عباس: خطاب المنهج، منشورات السفير، ط١، ١٩٩٠

٨. جمال حضري: المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية، للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٠١، ٢٠١٠

٩. حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، مشروع قراءة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط٠٣، ٢٠١٠

١٠. الشافعي، محمد بن إدريس: الرسالة، المكتبة العلمية، بيروت. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر.

١١. عبد الحكيم راضي: الأبعاد الكلامية والفلسفية في الفكر البلاغي والنقدي عند الجاحظ، ط٣، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٢. عباس ألرحيلة: الكتاب وصناعة التأليف عند الجاحظ، الوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠٠٤.

١٣. محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٩

١٤. محمد العمري: الموازنات الصوتية، في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، أفريقيا الشرق، ٢٠٠١، دط.

١٥. محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، دار إفريقيا للشرق، ٢٠٠٥

١٦. محمد العمري: ، أسئلة البلاغة

في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣..

١٧. محمد الناصر العجيمي: النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة ط١، ديسمبر ١٩٩٨.،

١٨. محمد اليملاحي: أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، مقاربة لمشروع محمد العمري، ضمن البلاغة وتحليل الخطاب إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف،ط٠١- ٢٠١٤.

١٩. محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٠٩، ٢٠٠٩.